مقدمة

كنتُ قد فكَّرت كثيرًا في كتابة مذكرات حياتي قبل عدة سنين، وترددت كثيرًا حتى بدأت بها العام الماضي، ولم أكمل، وسألت نفسي من قد يستفيد من استعراض حياتي التي لم يكن لها تأثير واضح في مجتمعنا العراقي، على الصعيدين السياسي منها أو الاجتماعي، ولكن الحقائق تشير إلى أن تأثيرًا ملموسًا كان يبرز في حياتي العملية في الجيش العراقي، وتحديدًا في القوة الجوية العراقية، والتي قد تجعل القارئ توَّاقًا إلى معرفة هوية الكاتب وطبيعة الأحداث التي مرَّت به. كانت رغبتي أن أوثِّق تاريخ البلد في أصعب مراحله؛ من خلال توثيق فترات حياتي وملاحظاتي فيها، وأركِّز على النقاط المثيرة والمهمة؛ وبالتحديد الإنسانية منها، وأن أقدِّم ما اختارته ذاكرتي من أحداث أعتبرها مفصلية مهمة.

لن أحاول خداع القارئ الكريم، ولن أجعله يعتقد أنه سيقرأ حكايات أسطورية أو رواية بوليسية أو قصصًا من وحي الخيال العلمي أو غيرها، ولا أكتب أو أنقل ما سمعته من آخرين، بل أنقشُ على صفحات التاريخ العصيب كل ما عايشته وخبرته وما مرَّ بي في مختلف فترات حياتي، من أحداث حقيقية حصلت على أرض الواقع، إنها خلاصة تجربة حياتي الشخصية التي عشتها وعايشتها، اختبرتني واختبرتها، شربت من حلوها وعلقمها.

إنها مجموعة قصص كنت بطلها الرئيسي في أحداثها وزمانها ومحيطها، عند لصق جميع هذه الحكايات والأحداث فإنها ستشكِّل سيرة حياتي بالكامل، سواء في فترة الطفولة البائسة أو سنوات المدرسة القاسية أو في مرحلة الدراسة الجامعية وشقاء الغُربة، مرورًا بسنين خدمتي في الجيش والحروب، وحتى

وصولاً إلى ما بعد تقاعدي منه وصعوبة الحياة، ولغاية أخر أيام هروبي من العراق وخطورته.

إن هذه الأحداث تشكِّل علامات مهمة في حياتي، قد تكون مُصيبة أحيانًا، وقد تكون مُخيبة أحيانًا أخرى، ولكنها بمجملها وفي كل الأحوال ستبقى جزءًا مهمًا من حياتي التي أحبها، أعتز بها وأفخر بكل ما فعلت خلالها، كنت أتمنى أن أسرد الكثير من الأحداث، أكتب المزيد عن محطات أعتقد أنها مهمة، أتحدث عن أناس وشخصيات أثرت بالمجتمع والأحداث، تأثرتُ بها سلبًا أو إيجابًا، غيرَّت مجرى حياتي لو اتسع المجال، لكني آثرت أن أنتقي أحداث كتابي هذا بشكل مختصر، كي لا أحمل القارئ الكريم عبئًا كبيرًا.

نشأت على حُب الوطن والأسرة، وجُبلتُ على مُساعدة الآخرين وفق مبادئ التربية الأساسية التي تلقيتها داخل نطاق أسرتي رغم معاناتي المادية، لم أستكن أو أخضع لقسوة الحياة، بل أخذت أجابهها وجهًا لوجه، إذ عملت وأنا ما أزال غَضًّا صغيرًا في عدة مجالات؛ منها بائع متجول للمرطبات، عامل مطبعة كتب، في مجال بيع الملابس والجرائد، في معامل تصنيع البسكويت والحلويات وغيرها.

لاحقًا أخذت بنفسي أصقل تجاربي وخط سير حياتي وتقويمهما، وفق إدراكي وفهمي لما يجري حولي من أحداث في المجتمع والعالم، كان الفقر هو عدوي الرئيسي الذي عانيت منه في سنوات حياتي الثمانية عشر الأولى، والذي ترك أثرًا بالغًا على نفسيتي، سلوكي وتطلعاتي للمستقبل.

لقد حاولت في هذا الكتاب سرد التاريخ بتفاصيله طيلة الحقبة الزمنية؛ منذ أيام طفولتي حتى لحظة هروبي من العراق عام ١٩٩٩ بجواز مزور، ومروري على أخر حبة رمل عراقية، ومشاهدتي لأخر جدارية للرئيس صدام حسين، مُرورًا مؤقتًا في مملكة الأردن التي استضافتني وعائلتي، وأخيرًا إلى موطني الجديد مملكة الدنمارك المباركة.

حكايات هذا الكتاب ليست ألغاز أو أحجيات؛ إنها حقيقية نابعة من ومضات مضيئة حيّة وديناميكية، عشتها، تذكرتها، اخترتها، حددت معالمها، رسمتها، سطرتها بدموعي وآلامي ولحظات سعادتي، وضحت من خلال بُعدها الإنساني وعلاقات البشر فيما بينهم وتأثير بعضهم على البعض الآخر وتأثير المجتمع والمحيط عليهم، نعم سلوك الإنسان مرآة عاكسة للمحيط الذي يؤثر ويتأثر به، لذا فإن مذكرات الإنسان تعكس إلى حدٍ ما صورة مرئية ومحاكاة لا تحيد عن الواقع، سواء كان مُفرحًا أو مؤلمًا.

إنني أترك القارئ الكريم بعد أن سكبتُ بعضًا من تاريخي وخبرتي ولحظاتي المُميزة في كأسٍ مقدس وأقدمه بسعادة عظيمة له، ويبقى له الحكم والتقدير فيما تقدم... إن شئت أم أبيت هناك سيكون من يقدر هذا العمل، وآخر يرى فيه أمرًا عاديًا أو استعراضيًا، وهذا طبيعي بحكم اختلاف طبيعة البشر...

أقدِّم هذا الكتاب وهو خلاصة حياتي العملية والشخصية بين يدي القارئ الكريم عسى الله الحي العظيم أن يكون قد وفقني فيه، فهو ولي التوفيق.

الدنمارك - ٢٠١٧

obeikan.com

▪ نبذة مختصرة عن الصابئة المندائيين

فئة دينية صغيرة يُقدَّر عددها بستين ألف شخص يعيشون في العراق وجنوب غرب إيران. في العقود الثلاثة الأخيرة رحل معظمهم إلى دول أخرى بسبب الحروب والاضطهاد والإرهاب.

هذه الفئة تؤمن بأول ديانة موحدة نزلت على البشرية وهي عقيدة معرفية، يعبدون الله ويوحِّدونه ويعظمونه ولا يشركون به أحدًا، ويعتبرونه عِلّة كل الأشياء في الكون، كما يتبعون تعاليم النبي (يهيا يوهانا) عليه السلام، كتابهم المقدس (الكنزا ربا) وتعني (الكنز العظيم)، ويُسمِّيه البعض صُحف آدم عليه السلام كونها تمثِّل أولى الشرائع السماوية المنزلة على سيدنا آدم أبو البشرية ومدونة باللغة الآرامية.

أركان ديانتهم : الشهادة والتعميد والصلاة والصوم والصدقة. وتعتمد على الماء الجاري كأساس للحياة وقيامها واستمرارها.